الباب الثالث

عيوب الفصاحة

ويتكون من فصلين :

الأول : عيوب الكلام :

الثانى : عيوب الكتابة :

نرى أن استكمال هذا البحث يتطلب منا أن نعرض الجانب الآخر للفصاحة، ونعنى به معوقات الفصاحة أو عيوب الفصاحة ، فقد تصاب الفصاحة بأمراض تسبب لها الفناء والتقويض ، والفصاحة فى ذلك كأى ظاهرة أو علم ، لها مايقويها ويدعمها من العوامل والشروط التى ترتقى بها ، وتقربها من الأذهان ، وتجعلها نافعة فى حياة الناس ، كما لها من المعوقات التى تصيبها بالجمود والتخلف ، وتمنعها من الوصول إلى الأهداف المرجوة لها ، وتنفى عنها صفاتها الأساسية التى تحدد معالمها وخصائصها بين الظواهر أو العلوم الأخرى .

أغلب أسباب الازدهار والتطور ، أو الانحاط والجمود المتعلقة بعلم أو فن ترجع أول ماترجع إلى الإنسان القائم على هذا العلم أو ذلك الفن ، وهذا ينطبق تماما على الفصاحة ، فتوجد الفصاحة ، وتزدهر بالفصحاء القائمين عليها ، الحريصين على إبرازها فى كلامهم المنطوق ، أو فى كتاباتهم المختلفة . كذلك تصاب الفصاحة بالفساد والفناء بسبب الناطقين الذين انتفت عنهم صفات الفصاحة ، أو الكتاب الذين عجزوا عن مراعاة شروطها وتوافر أسبابها .

ومن ثم فاننا سنصنف تلك العيوب التى تعبر عن الجانب السلبى للفصاحة إلى مظهرين يضمان أقساما أخرى ، ونعنى بهما :

أولا : العيوب المتعلقة بالكلام المنطوق .

ثانيا : العيوب الخاصة بالكتابة .

وهذا التصنيف لايخالف كثيراً منهجنا الذى سلكناه فى البابين السابقين ، ونعنى به التصنيف العام الذى يدور حول فصاحة الكلمة ، وفصاحة الكلام وفصاحة المتكلم ، وفى الحقيقة نرى أن حديثنا عن العيوب المتعلقة بالكلام المنطوق ،سيتناول إن شاء الله فصاحة المتكلم وفصاحة الكلام والكلمة ، كما أن تناولنا لعيوب الكتابة سيشمل أيضا فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام ، فلا اختلاف فى نظرنا بين التصنيفين الأول والثانى .

وحديثنا عن عيوب الفصاحة مجال يتسع فيه القول ، لكننا سنحاول — إن شاء الله — أن نأخذ الجانب الذى يتعلق ببحثنا ، محاولين أن نتجنب الاستطراد الذى يبعدنا عن هدفنا المرجو ، لكننا فى نفس الوقت سنبتعد عن الإيجاز المخل .

الفصل الأول

عيوب الكلام

نعنى بالكلام هنا الكلام المنطوق الذى يبدو فى صورة أحاديث وخطابة ، أى الكلام المؤدى ، لأن الكلام المكتوب شىء آخر ، لأنه قد افتقد كثيراً من صفات الكلام المنطوق .

وعيوب الكلام المنطوق نقسمها على أساس مصدر العلة أو العيب ، وليس على أساس المظهر الخارجى للعيب الكلامى ، وهذه العيوب قسمان هما :

أولا : عيوب عضوية Organic

ثانيا : عيوب وظيفية Functional

ويصنف تحت هذين القسمين مظاهر كثيرة خارجية تأخذ صورا مرضية متنوعة.

أولا ـ العيوب التى ترجع الى أسباب عضوية :

ومن المعروف أن نطق الأصوات يحدث بأعضاء النطق ، وهذه الأعضاء لها وظائف أساسية أخرى غير النطق ، كالتنفس لتغيير الهواء فى الرئتين والقصبة الهوائية ، أو كمضغ الطعام وتحريكه وتذوقه مما يقوم به اللسان ، كذلك الأسنان واللثة والحلق واللهاة والشفتان ، فهذه الأعضاء كلها لها وظائف غير النطق ، وعملية النطق وظيفة أخرى تقوم بها إلى جانب قيامها بوظائفها الأساسية . وإصابة أى عضو من هذه الأعضاء يؤدى تبعاً لذلك إلى قصور فى وظائفها الأساسية أو الثانوية ، فالكلام الفصيح قد يصيبه القصور بسبب ما أصاب أعضاء النطق ، والإصابات التى تحدث لأعضاء النطق نوعان :

(أ) خلقيـــة :

فقد يولد الانسان وفى أعضائه النطقية بعض القصور أو الزيادة التى تعوق الكلام الفصيح ، من ذلك الحالات النادرة التى يكون فيها سقف الحنك مفتوحا ، أو لا يفصله فاصل عن التجويف الأنفى ، ومثال ذلك التشوهات التى تحدث بالأسنان وكذلك أن يولد الإنسان مشقوق الشفة ، وكذلك وجود بعض من الالتحام

بين جزء وآخر من هذه الأعضاء . هذا بالإضافة إلى ماقد يكون بالمخ أو الغدد الصماء من أشياء خلقية مخالفة لعامة الناس أو الأسوياء .

وكل هذه الأشياء الخلقية تسبب قصورا فى أداء وظائف الأعضاء التى أصابتها فالقصور فى مركز الجهاز العصبى أو المخ قـــد يؤدى إلى العجز التام عن النطق أو العجز الجزئى، أما العيوب الخلقية بالأعضاء الأخرى فإنها تؤدى إلى إفساد الفصاحة كالإصابة باللثغة بأنواعها ، والحبسة التى تنتج عن عوامل مختلفة، كما قد تصيب الناطق باللغة ، وغير ذلك من تلك العيوب التى قد تنتج عن أسباب أخرى للقصور فى الأعضاء .

(ب) مرضيـــــة :

وقد تخلق الأعضاء التى تستخدم فى النطق صحيحة سليمة ، لكن قد يصيبها فى مرحلة ما من عمر الإنسان مايتلفها أو يشوهها، أو يصيب تركيبها بالخلل، مثلما يحدث للأسنان مثلا أو اللسان أو الشفتين ، كما قد يصيبها أشياء عارضة تزول بزوال مؤثراتها ، كالأمراض العارضة التى تصيب الأنف والفم والحلق والوتين والوترين الصوتيين .

وهذه الإصابات المرضية تؤدى بدورها إلى قصور فى النطق ، وهذه العيوب المتعلقة بالنطق سنتناولها بالتفيضل إن شاء الله .

لكن قد يطرأ على أعضاء النطق عوارض مرضية أو أصابات مفاجئة تؤدى إلى فقدان النطق مثل تلك التى تحدث فى المخ ، والمخ مركز للجهاز العصبى كله ، إليه ينتهى الكلام ، ومنه يصدر أيضا ، ولقد تعددت وجهات النظر فى تفسير العلاقة التى تربط اللغة أو الكلام بالمراكز العصبية فيذهب البعض إلى جعل الطبقة التى تغطى المخ cortex مقسمة إلى مناطق أو مراكز ، وهى الطبقة التى تسمى (الطبقة السنجابية) أو (اللحاء) ، وهذه الطبقة يعتقد أنه يتم فيها

عملية التنسيق الخاصة بالجهاز العصبي ، ويرى علماء وظائف الأعضاء وعلم النفس أنها ثلاث مناطق هي منطقة الحس ،ومنطقة الحركة ، ومنطقة الترابط ، ويرون أن منطقة الترابط لهـــا دور كبير فى التعليم ، لأنها تقوم بربط مناطق الحس والحركة معا . (١)

وهذا الرأى يقابله رأى آخر ،ينكر أن تكون للغة مراكز مميزة ،وإنما يدور هذا الرأى حول النظرة الى ترى أن الكلام شأنه فى ذلك شأن أى نشاط عقلى أو جسمانى آخر يتطلب نشاط جميع المخ (٢) .

ولا تعنينا فى هذا المقام الاختلافات التى نشأت عن تلك النظريات أو وجهات النظر ،وإنما يعنينا أن نبين أن ثمة علاقة وثيقة بين سلامة المخ والفصاحة، كما أن ثمة علاقة وثيقة بين المخ الذى قد أصابه قصور والفساد الذى قد يلحق بالفصاحة ، وهذا لا يمنعنا من الإشارة إلى الرأى الذى يأخذ به أكثر علمـــاء النفس ، عندما ينظرون إلى علاقة اللغة بالجهاز العصبى ،وخاصة اللحاء أو الطبقة السنجابية ؛ وتتلخص وجهة نظرهم فى أن هناك نصفين فى الدماغ ، وأن كلا منهما يحكم الطرف الآخر المعاكس للبدن ،لكن مركز التحكم فى أعضاء الصوت يوجد فى موقف وسط ، ولهذا يسيطر النصفان على عمليات إخراج الصوت ، ويعتبر طومسون Thomson من أشهر الذين فصلوا هذه الفكرة ،فهو يرى أن نصفى الدماغ يسيطران معاً على أعضاء الصوت فى حالة إخراج الضوضاء ، أو القيام بعمليات البلع والعمليات الأولية الأخرى المماثلة ،لكن حين يأتى الأمر إلى اللغة والكلام

---

1 — How The Brain works By : S. L. Franz P. P. 29-32
— Social psychology By ; Allport P. P. 29 — 30

2 — The Backward child By : C. Burt p p. 325 — 327

نجده يرى أن النصف الأيسر هو الذى يسيطر فى حالة الشخص الأيمن، وأن النصف الأيمن هو الذى يسيطر فى حالة الشخص الأعسر [٣] .

هذا عن اللحاء أو عن المخ بوجه عام ، أما عن أعضاء النطق الأخرى فقد تصاب بما يغير وظائفها ، ويقلل من فصاحة المتكلم مثلما يحدث فى حالات المخصيين الذين تتغير أصواتهم ، ومثل سقوط بعض أو كل الأسنان ، أو ماقد يصيب الوترين من عوامل تؤدى إلى شدهما أو إرتخائهما ، ولقد تناول الجاحظ قديما هذه الحالات فى كتابى الحيوان والبيان والتبيين ، وسنذكر طرفا منها فى حينه إن شاء الله .

هذه هى بعض الأسباب أو العلل التى تسبب عجزا أو قصورا فى النطق ، وهى علل متصلة بالأعضاء التى قد تصاب بتلف أو عجز بسبب الخلقة أو بسبب المرض، وينتج عن ذلك عجز عن كل أو بعض الكلام ، مما يفقد الإنسان فصاحته .

ثانيا عيوب ترجع الى أسباب وظيفية :

قد تكون الأعضاء المؤدية للكلام صحيحة سليمة من الناحية الحيوية (البيولوجية) ، لكن قد تسبب لها عوامل أخرى ما يجعل وظائفها مؤداة بطريقة غير كاملة ، وهذه العوامل التى تصف الوظائف بالنقصان قد تكون داخلية فى الإنسان نفسه أو خارجية محيطة به ، والعوامل الداخلية قد تكون إرادية أو مزاجية ؛ مثل تكلف المتكلم فى نطقه رغبة منه فى أن يصبغ نطقه معينة بصبغة كأن يتشادق ، أو يتفيهق أو يدخل على نقطه اللثغ أو الغنة ، ويكون ذلك بنقل مخارج الحروف ، أو إشراك بعض المخارج فيما ليست له ، ومن ذلك ميل بعض النساء

---

3 — Instict, Intelligence and character By: Thomson (G H.) P. 104 London 1949

انظر فى ذلك أيضا ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة ص ٢١ د. صالح وشماع .

على وجه الخصوص إلى إدخال بعض اللثغ فى نطقهن لبعض الحروف، كما يحدث فى الراء رغبة منهن فى التدلل ، ومثلما يفعلن فى بعض الحروف المطبقة، كالطاء التى يحولنها إلى تاء ، والضاد إلى دال ، وكما يحدث أيضا فى تحويل القاف إلى كاف أو همزة .

أما العوامل الداخلية غـــير الإرادية فهى مرتبطة بمؤثرات خارجية ، أى بعوامل نفسية أو اجتماعية ، أى أن المتكلم قد يحاط فى بيئته بما يدفعه إلى سوء العادة فى نطقة ، فالكلام ليس مقاطع صوتية فقط تحدثها أعضاء النطق ، بل هو ما تحمله الأصوات أيضا من معان ، وانفعالات ، ورغبات مرتبطة بمثيرات خارجية حوله ، وهذه العوامل المختلفة يمكن أن تصنف ضمن عاملين هما : العامل النفسى ، والعامل الاجتماعى ، وهذان العاملان يمكن أن يلقيا ضوءا على عيوب النطق لدى الأطفال الذين التصقت بهم عثرات فى نطقهم ، وظلت ملازمة لهم فى شبابهم ، فقد يكون عدم توافق الإنسان مع بيئته وخاصة الطفل ، واعتقاده أن موقفه من أى شيء يمكن أن يجلب له الأذى - يؤدى إلى التردد والخوف ، ويقوض التوافق الذى بينه وبين بيئته ، وهذا الشعور الذى يحس به نحو بيئته يسبب له معوقات كلامية ، مثل التهتهة أو اللجلجة التى قد تصاحبه فى مراحل حياته المختلفة ، مما ينفى عن كلامه صفات الفصاحة ، ويمكن أن نطلق على تلك الظروف المحيطة بالإنسان عند طفولته والتى تؤدى إلى قتل فصاحته (بسوء النشأة) ؛ فالعامل الاجتماعى يسبب تبعا لذلك عاملا نفسيا ، فالطفل الذى تحيط به ظروف بيئية سيئة قد يتولد عنده الشعور بالخوف والتردد ، وعدم الثقة ، بل ربما تؤدى به تلك الظروف إلى شخصية عصبية Neurotic كما أن تدليل الأبوين لأطفالهما أو إهمالهما يؤدى إلى الكلام غير السوى .

ولا يقتصر الأمر على الناطقين فقط بل هناك عوامل تؤثر فى الفصاحة تتعلق بالسامعين ، وقد يؤدّى الكلام بأعضاء سليمة للنطق ، لا تؤثر فيها عوامل داخلية أو خارجية ، ولا تتخلف صفة من صفات الفصاحة عند أداء المتكلم ، لكنها قد تجد آذانا غير مستجيبة لسماعها ، أى أن الكلام الفصيح المنطوق يجب أن يلاقى مكانا صالحا ليستقر فيه ، وتظهر فيه ثماره ، فالسامع يجب أن تكون حالته الشعورية متوافقة إلى حد مامع ذلك الكلام الفصيح الذى وقع فى أذنيه ، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه مراعاة المقام ، أو القرائن المصاحبة للكلام . والكلام الذى لا يترك أثرا فى سامعه ، ولا تكون له استجابة لديه ، يفتقد كثيرا من قيمته لدى هؤلاء السامعين .

ولقد استقرت نظرة اللغويين وعلماء النفس على أن الكلام تكتمل مقوماته بالمتكلم الفصيح ، والمستمع الجيد ، لكننا نرى عاملا آخر له آثاره التى لا يستهان بها ، ونعنى به الوسط الموصل بينهما ، فلابد أن يحمل الكلام من أجهزة النطق عند المتكلم بموصل صادق أمين حتى تتلقاه أذن السامع ، وهذا الموصل هو الهواء الذى يمتلىء به الكون ، ومن الواضح فيزيائيا أن الوسط المفرّغ من الهواء لا يوصل الصوت ، فالهواء هو الذى يحمل الصوت بجميع صفاته لينقلها إلى الأذن ، لكن هذا الوسط الموصل قد تداخله بعض الأصوات الخارجية التى قد تفقد الصوت المحمول بعض خصائصه .

كل هذه العوامل الخَلْقية والمرَضية ، وما يتصل منها بالأعضاء أو الناحية الوظيفية تؤدى — بنسبة ما — إلى انتقاص فصاحة المتكلم ، أو الفصاحة المنطوقة ، وهذا الانتقاص يظهر فى صورة عيوب فى النطق ، ونستطيع أن نوضح هذه العيوب النطقية فى مظاهر متنوعة ، وقد تنبه الأقدمون إلى كثير منها ونبهوا إلى خطورتها ،

وهى كما يلى :

١ — البكم والخرس والصمم : —

والبكم Mutism يقال : إنه النطق مع عىّ أو بله .

وقيل إن الأبكم : هو الذى يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر .

أما الخرس فقد قيل فيه : إنه المنع عن الكلام خلقة .

وقيل هو منعقد اللسان عن الكلام وقد أخرسه الله(٤) .

والصمم هو المنع عن السمع .

وهذه الصفات ليست عيوبا فى فصاحة الكلام فقط ، بل هى عيوب فى الإنسان الذى حرم الكلام والسمع ، فليس هناك كلام حتى يوصف بالفصاحة أو عدمها . ومن ثم فإن آفات البكم والخرس والصمم قاتلة للفصاحة والكلام. وهذه العيوب فى أغلب حالاتها تكون خلقية ، لكن قد يحدث الخرس والصمم فى مراحل متأخرة من عمر الإنسان . والذين يولدون بالعاهات السابقة لا يكتسبون فصاحة بعد ذلك ، ومع ذلك فهناك حالة نادرة ومشهورة هى حالة (هيلين كيلر) الأمريكية Helen Keller التى ولدت سنة ١٨٨٠ م ، وتتلخص حالتها فى أنها قد أصيبت بفقد السمع والبصر وهى فى شهرها العشرين ، فلم تكن قد حصلت من لغتها القومية إلا القليل الذى لا يفى برغباتها ، ولم تستطع بعد ذلك أن تتعلم ألفاظا وجلا تعينها على التعبير اللغوى ، ويقال : أن أمر تربيتها قد تولته سيدة اسمها (آن سليفان) فأخذت تعلمها الأشياء عن طريق اللمس ، كأن تأخذ لعبة وتضعها فى يدها وتكتب لها فى يدها الأخرى (لعبة)، ثم تكرر ذلك عدة مرات ، حتى تستطيع أن تدرك الحروف التى تتكون منها هذه الكلمة ، وأن تكتبها كلما أرادت ، فعلمتها بذلك كتابة الحروف والكلمات، ثم انتقلت بها إلى تعليم القراءة من كتاب ذى حروف بارزة ، ثم علمتها بعد ذلك النطق عن طريق مخارج النطق باليد حتى تعلمت نطق الكلمات والجمل ، وبهذا

(٤) الافصاح فى فقه اللغة الباب الثالث ص ٢١٢ .

قامت اليد مقام الأذن فى إدراك المسموعات . ويقال : إن (هيلين) قد دخلت المدرسة وتعلمت المواد الدراسية ، ودخلت الجامعة ، وتفوقت على غيرها من الأصحاء ، كما تمكنت من كتابة الشعر ، وتأليف الكتب[٥] ، وينسب إليها بعض الكتب مثل :

The Story of My Life, and the World I live in,

وهناك عيوب فى نطق المتكلم أقل درجة من البكم والخرس مثل :

العىّ : هو العجز عن النطق .

والحَصَر : هو امتناع الكلام والقراءة على صاحبه .

والفهاهة : هى أن يصاب الإنسان بالكلالة والعىّ .

الارتاج : هو استغلاق الكلام عند طلبه بسبب الحَصَر أو العى أو النسيان.

وهى معان قريبة ، أو صفات مختلفة لعاجز عن الكلام ، وهناك صفات أخرى مثل : الكهام : وصف للسان الكليل عن البلاغة ، ومثل : الملجم : صفة للمهزوم الذى لم يجد جوابا يدفع به حجة خصمه .

٢ ـ احتباس الكلام وثقل اللسان :

ويصنف تحت هذا المظهر من عيوب النطق مجموعة أمراض كلامية تعرف باسم Aphasia [٦] ويترجم علماء النفس هذه اللفظة بكلمة (حبسة) أو (عقلة) .

والحبسة : هى تعذر الكلام عند إرادته ، وهى خلاف الطلاقة التى هى صفة من صفات الفصاحة ، ويقال : فى لسانه حبسة : أى ثقل يمنع من الإبانة .

---

(٥) اللغة العربية اصولها النفسية وطرق تدريسها د. عبد العزيز عبد المجيد ص ٣٥ ـ ص ٣٦ .

(٦) أمراض الكلام تاليف الدكتور مصطفى فهمى ص ٥٩ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٦ .

والعقلة : هى اعتقال اللسان وامتساكه ، وهو استعمال مجازى أصله الاعتقال الذى يحدث للدابة عندما تربط بحبل يمنعها من الفرار ، وعجز اللسان عن أداء وظيفته يبدو وكأنه مقيد بعقال .

وهناك درجات من احتباس الكلام وثقل اللسان أخف من الحبسة والعقلة هى :

اللّوثة : البطء فى الكلام .

الرُّتّة : التردد فى الكلام ، والألرّ : الذى يتردد فى الكلمة وألا تكاد كلمته تخرج من فيه .

٣ ـ عيوب طلاقة اللسان :

وهى عيوب قد تصيب السلاسة وطلاقة اللسان Fluency ، وأهم صورها التهتهة أو اللجلجة ، وهى عيوب تتمثل فى ثقل اللسان وتردده ، واللجلاج : هو الذى يردد الكلمة فى فيه ولا تكاد الكلمة تخرج منه ، وهذه العيوب قد تطلق عليها الرّتّة أو اللوثة أيضاً . وقد تطلق التهتهة Stuttering على أكثر اضطرابات الكلام لأنها أشهر عيوب الكلام التى يلاحظها علماء النفس ، وعلماء الأصوات لدى الصغار والكبار .

والتهتهة تكون بتكرارات آلية غير مكونة للمقاطع الصوتية أو الكلمات، وقد تكون أيضاً بإطالة الأصوات الأولى فى المقاطع أو الكلمات عن طريق زيادة النغمة أو كمية الصوت ، ويضيف علماء النفس صورا أخرى للتهتهة ؛ كأن يتحرك الفك دون إخراج أى صوت ، أو كإدخال بعض الأصوات القصيرة ، أو الكلمات التى لا محل لها فى تكوين الجملة[٧] .

---

(٧) انظر فى ذلك ما كتبه هاريمان فى موسوعة علم النفس تحت مادة باثولوجيا الكلام :

Encyclopedia of Psychology : Harriman (editor). New Yourk 1946.

ويجب أن نلاحظ الفرق بين التهتهة التى تلازم كثيرا من الأطفال ، وما قد يصاحب الكبار من التهتهة ، فمن المسلم به أن التهتهة ظاهرة مرضية فى الأطفال والكبار ، لكنها قد تكون وقتية عند الأطفال ، أما إذا استمرت مع الطفل فى مراحل عمره التالية فإنها تستوجب الرعاية المضاعفة ، وقد توقفنا عند مسببات أمراض الكلام أو معوقات النطق فى بداية حديثنا فى هذا الفصل ، ونستطيع أن نقول : إن أكثر تلك الحالات التى تظهر فيها التهتهة عند الكبار يكون سببها متصلا بتلف أو عيب عضوى ، وخاصة فى المركز العصبى ، وهذا لا يمنع أن يكون للعوامل الأخرى نصيب فى ذلك التأثير . ويؤكد علماء النفس أنه لا توجد أى خصائص بدنية تميز أصحاب التهتهة من غيرهم(٨) . ويؤكدون على العوامل النفسية ، مثل نزعة الإلحاح وروح التأديب فى بعض الأمور ، كالنظافة وآداب المائدة وغير ذلك مما يدقق فيه الآباء ، ومن الأسباب الهامة أيضا تعليم الأعسر استعمال يمناه . ويرى هاريمان فى مادة (باثولوجيا الكلام) التى كتبها فى الموسوعة النفسية ، أن أى طريقة لعلاج التهتهة غير قابلة للتعميم مهما كان نجاح تلك الطريقة ، وربما يرجع ذلك إلى تعدد مسببات التهتهة .

وخلاصة القول فى التهتهة أنها آفة من آفات الفصاحة تصيب المتكلمين من عدة اتجاهات ، وقد يسهل علاجها إذا لم تكن أسبابها عضوية .

والتكرارات الصوتية الآلية لا تطلق على التهتهة فقط ، وما يقال عن التهتهة يقال أيضاً عن ظواهر مرضية لطلاقة اللسان مثل :

التمتمة : وهى رد الكلام إلى التاء والميم ، وتكرار ذلك بطريقة آلية أيضا

الفأفأة : وتكون بتردد حرف الفاء .

الحجمة : هى إخفاء الشىء فى الصدر ، وهى ألا يبين المتكلم كلامه .

---

(٨) ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة د. صالح الشماع ص ١٥٧ .

انظر ايضا : أمراض الكلام للدكتور مصطفى فهمى فيما كتبه عن اللجلجة ص ١٦٣ ـ ١٩٤ ، وعلاجها ص ١٩٧ ـ ص ٢٢٧ .

الهينمة : والمتكلم الموصوف بها لايفهم كلامه، ومثلها الدندنة وهى الكلام الخفى الذى لايفهم .

الزمزمة : تراطن العلوج عند الأكل وهم صموت لاتستعمل اللسان ولا الشفة، لكنه صوت تديره فى خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض .

الضغضغة : أن يتكلم فلا يبين كلامه .

الثغثغة : تتابع الكلام فى عجلة واضطراب ، وتكون بتحريك المتكلم أسنانه فلا يبين كلامه ، والكلام المثغثغ هو الذى به خلط .

التغتغة : تكون للشيخ الذى لم يفهم كلامه لسقوط أسنانه[٩] .

وهى ترديد الصوت بغير أن يسمع ولايبين .

وهذه صفات لتكرار الصوت فى الفم بصورة مرضية ، وهى لاتؤدى إلى كلمات صحيحة سليمة ، وهذه الصفات المختلفة قد يطلق عليها التهتهة أو اللجلجة ، وهى فى جملتها آفات للطلاقة والفصاحة التى يتصف بها المتكلم .

٤ ـ عيوب ابدالية وصوتية :

وهى عيوب تصيب نطق المتكلم الفصيح ، وقد تكون بطريقة إبدالية لمواضع النطق أو مخارج الحروف Points of Articulation ، وينتج عن ذلك الإبدال نطق صوت مخالف للصوت أو الحرف المراد نطقه كما يحدث فى بعض أنواع اللثغة التى ترجع بعض أنواعها إلى عيوب صوتية Voice Disorders ، والعيوب الصوتية أو اضطرابات الكلام وصف عام لأنها تشمل الإبدال وغيره ، وأظهر هذه الحالات المرضية التى يتمثل فيها الإبدال مايعرف باللثغة .

واللثغة : Lisping من العيوب الشائعة فى الصغار والكبار، وهى تنشأ عن تغيير مخارج الحروف كما أشرنا ، مثل جعل السين ثاء ، أو جعل الراء غينا أو

---

(٩) الافصاح فى فقه اللغة ص ٢٠٧ ـ ص ٢٠٨ .

ياء ، وقد يكون ذلك الإبدال ناتجا عن عيب خلق بيولوجى ، أو عيب وظيفى أو فسيولوجى ، فقد يكون اللسان به التصاق غير طبيعى من أسفله مع أسفل الفم ، فتتقيد حركته من الأمام قليلا مما يمنعه من أداء وظيفته كاملة عند نطق الحروف الأمامية مثل الراء والسين . وقد تكون ثنايا الفم غير منتظمة أو بها نتوءات تعوق اللسان السليم من حركته الطبيعية ، فيتسبب عن ذلك انزلاق ، أى أن بعض الحروف التى تشترك فيها اللثة أو أصول الثنايا لايتاح للسان أن يرتكز عندها بسبب تلك العيوب السنية ، فيسقط إلى أسفل فيما بين الثنايا كما يحدث فى لثغة السين التى تتحول إلى ثاء ، ويمكن أن يخرج إلى مخرج بعيد عنه كثيرا ، مثلما يحدث فى لثغة الراء التى ترتد إلى أعلى الحلق لتشبه الغين ، ويرى أبو عثمان الجاحظ أن الحروف التى تدخلها اللثغة أربعة أحرف هى : القاف ، والسين ، واللام ، والراء ، كما يرى أن هناك لثغة خامسة هى لثغة الشين ، ولم يذكرها مع الأربعة السابقة لأن الخط العربى لايصورها ، وإنما تخرج من مخرج مخالف للحروف المعروفة له ، ثم يوضح الجاحظ بعد ذلك اللثغات التى تعرض لتلك الحروف وهى :

اللثغة التى تعرض للسين تكون ثاء ، مثل بُثرة إذا أرادوا بُسْرة ، ومثل : بثم الله إذا أرادوا بسم الله .

اللثغة الثانية هى التى تعرض للقاف : ويلاحظ الجاحظ أن صاحبها يجعل القاف طاء ، فاذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : طلت له ، وإذا أراد أن يقول: قال لى ، قال طال لى .

أما اللثغة التى تقع فى اللام فلها صورتان عند الجاحظ :

الحالة الأولى : هى التى يجعل أصحابها اللام ياء فيقولون : جمى بدلا من جمل.
الحالة الثانية : ويجعل أصحابها اللام كافا ، ومثال ذلك عندما عرض لرجل اسمه عمر ، فانه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة فى هذا ؟ قال : مَكْعِكَّة

فى هذا[١٠] ... ؟

والملاحظ أن الحالة الثانية للثغة غريبة علينا ، وهذا لايعنى أنها لم تكن موجودة فى بيئة الجاحظ وأنه الجاحظ لم يلاحظها .

أما لثغة الراء فهى كثيرة وتدور على ألسنة كثير من المتكلمين ، ولثغة الراء عند الجاحظ تقع فى أربعة أحرف هى :

جعل الراء ياء ، فاذا أراد صاحبها أن يقول : عمرو ، قال : عمى .

جعل الراء غينا ، فاذا أراد صاحبها أن يقول : عمرو ، قال : عمغ .

جعل الراء ذالا ، فاذا أراد صاحبها أن يقول : عمرو ، قال : عمذ .

جعل الراء ظاء ، فاذا أراد أن يقول مرة قال : مظة[١١] .

وفى الحقيقة نرى أن الجاحظ قد استوفى أنواع اللثغ ، بل قد أورد نظرة المجتمع لكل منها ، وخاصة اللثغة التى تحدث للراء ، ويقول الجاحظ : « ... واللثغة التى فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضعهن لذى المروءة ، ثم التى على الظاء ثم التى على الذال ، أما التى على الغين فهى أيسرهن ، ويقال إن صاحبها لو جهد نفسه جهده ، وأحدّ لسانه ، وتكلف مخرج الراء على حقها ، والإفصاح بها ، لم يك بعيدا أن تجيبه الطبيعة ، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثرا حسنا »[١٢] .

كما يذكر الجاحظ أشهر اللثغات ، وهى تلك التى عرفت لدى أصحابها المشهورين مثل لثغة واصل بن عطاء ، ولثغة موسى عليه السلام ، ولثغة محمد ابن شبيب المتكلم ، وأسهلها لثغة محمد بن شبيب التى كانت تقع فى الراء التى تصير غينا ، وصاحبها كان يستطيع أن يحمل نفسه على تركها ، ولكنه كان يتركها ،

---

(١٠) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤ ـ ص ٣٥ .
(١١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٥ .
(١٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٦ .

ويقول الجاحظ : أنا سمعت ذلك منه[١٣] .

أما لثغة واصل بن عطاء فإنها كانت فى الراء أيضاً ، لكن الجاحظ يرى أنها غريبة ، ولا تقع فى الحروف الأربعة السابقة ، ويبدو أنها كانت متمكنة منه ولم يستطع التخلص منها أو تخفيفها ، من أجل ذلك تجنب واصل بقدر مايتاح له الكلمات التى بها راء ، ولم تتح له مقدرة إسقاط الراء من كلامه إلا بعد تدريب طويل ، وثقافة لغوية واسعة ، حتى صار يخطب ويجادل خصومه بكلام خال من الراء .

لكن نجاح واصل بن عطاء فى تجنب الراء من كلامه قد دفعه أحيانا إلى استخدام كلمات غير مشتملة على الراء ، ويعلم أنها أقل فصاحة من غيرها[١٤]، فكان واصل بن عطاء إذا أراد أن يذكر (البُرّ) قال : القمح أو الحنطة ، والحنطة لغة كوفية ، والقمح لغة شامية ، وهو يعلم أن لغة من قال: بر ،أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة .

ومن العيوب الإبدالية أيضاً ما يعرف عند القدماء العرب باسم :

اللُّكْنة : وهى عيب يرجع إلى عجز الناطق عن اكتساب عادات النطق الخاصة باللغة الجديدة التى يريد أن يتكلمها ، فتلتصق تلك العادات التى نشأ عليها وتعلمها من لغته الأم ، ولا يستطيع التخلص منها بسهولة عند تكلمه باللغة الجديدة ، وهذا لا يعنى أن اللكنة تلازم كل متعلم للغة أجنبية ، بل هناك من ينطقون اللغات الأجنبية بطلاقة دون أن يلحظ السامعون أن لغتاتهم الأصلية مخالفة، ومن أجل ذلك فان تعلم اللغات الأجنبية لدى المعاهد المتخصصة تصون اللسان من اللكنة التى قد تداخله .

---

(١٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٧ .
(١٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٧ .

وقد لاحظ الجاحظ أن العجم وبعض العرب الذين عاشوا بينهم قد اعترتهم اللكنة ، ويذكر الجاحظ مجموعة من خطباء وشعراء العجم الذين لم يتخلصوا من لكنتهم مثل زياد الأعجم ، أحد شعراء الدولة الأموية ، الذى كان يجعل السين شينا ، والطاء تاء ، فاذا أنشد قوله :

فتى زاده السلطان فى الودّ رفعةً إذا غير السلطان كلّ خليل

فانه كان يقول : « فتى زاده الشلتان » .

ومثل سُحَيْم عبد بنى الحسحاس ، وهو عبد حبشى شاعر قتل فى خلافة عثمان ابن عفان ، وكانت لكنته فى قلب الشين إلى سين[١٥] .

والكثير منهم يقلبون بعض حروف الحلق وخاصة الحاء والعين ، وهذا شائع بيننا الآن ، فتقلب الحاء إلى هاء والعين إلى همزة ، كما تشيع أيضا لكنة قلب القاف إلى كاف ، والصاد إلى سين ، والطاء إلى تاء ، والضاد إلى دال .

٥ ـ عيوب التكلف :

قد يخلق المتكلم سليم الأعضاء ، وليس بها قصور يمنعها من أداء وظائفها الكلامية ، ولم تؤثر فيها عوامل خارجية توجهها وجهة غير صحيحة فى النطق ، لكن قد تداخلها عوامل مزاجية رغبة من صاحبها فى أن يسلك مسلكا وعرا ، يكلفه جهدا فوق طاقاته ، فالله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان مختلفا فى قدراته وطاقاته ، لكن بعض الناس يطلب من قدراته أن تؤدى ماهو فوق إمكاناتها ، ومن ثم يأتى أداؤها ناقصا مشوها فلا تصل تلك القدرات إلى أداء ما فوقها ، كما لم تحتفظ بأدائها الموسوم بها ، أى أنها قد افتقدت أداءها عندما حاولت أن تسمو فوق طاقاتها ، ولم تصل إلى غاياتها بتلك القدرات المتواضعة ، فقد يوهب خطيب الجهارة ، وسعة الشدقين ، والحلق ، وطول النفس ، والذكاء الذى

---

(١٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ٧١ ـ ص ٧٢ .

يسيء له الوصول إلى قلوب السامعين ، فيحاول بعض الذين لم ينالوا حظه من الخلقة أن يصلوا إلى فصاحته فى القول ، وقدرته على التأثير فى سامعيه ، فيخرج كلامهم وقد غلبت عليه الصنعة والتكلف ، فلا يقع فى آذان سامعيه إلا موقع الاستهجان ، والنفور ، والاستهزاء ، وسبب ذلك أنه وضع نفسه فى مكانة غيره ، فشعر الناس بالفرق بينه وبين من يقلده وارتسمت فى أذهانهم صورته الموسومة بالنقيصة ، كما ارتسمت صورة المثال الذى يقلده بالكمال التام ، فازدادت الهوة بينهما ، واتسعت الفرقة بهذا التكلف ، وبهذا المسلك الصعب الذى سار فيه . ولو احتفظ المتكلف بقدراته وأعطاها حقها ، ولم يقسرها على مافوق طاقتها ، لما التصقت به نقيصة ، ولما وجهت إليه ضروب اللوم ، ولما اقترنت صورته بصورة من هو أعلى منه درجة .

وقد تنبه القدماء إلى هذه الحقيقة .. والناس لا يعيرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ، ويؤنبون العيى ، فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء ، وتعاطيا مناظرة البلغاء ، تضاعف عليهما الذم ، وترادف عليهما التأنيب ، ومماتة العيى الحصر للبليغ المصقع ، فى سبيل مماتة المقطع المفحم ، للشاعر المفلق ، وأحدهما ألوم من صاحبه ، والألسنة إليه أسرع . . . »[١٦] .

ونستطيع أن نوجز مظاهر التكلف فى التى تفسد الفصاحة ، ونرى منها :

(أ) العيىّ الذى يتكلف الخطابة ، والحصر الذى يقف موقف المصاقع :

وكلاهما قد كلف نفسه فوق طاقتها ، ووقف موقفا ليس أهلا له فظهر عجزه الشديد ، وموقف كل منهما يشبه موقف الضعيف الهزيل الذى يلاكم أو يصارع أحد

---

(١٦) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢ .

أبطال العالم المحترفين ، وهو موقف يثير الضحك لدى بعض الناس، كما يثير الشفقة لدى الآخرين .

وكلا العي والحَصَر غير فصيح ، لكن تكلفهما مكانة الفصحاء يزيدهما انتقاصا ، ويؤكد مدى بعدهما عنها .

(ب) التشادق والتقعير والتقعيب :

والتشادق قد يكون بأن يفتح المتكلم فمه حتى يزداد اتساعا ، أو أن يلوى شدقه بالكلام من أجل التشبه بالفصحاء ، أما التقعير : فهو أن يتكلم الناطق بأقصى فمه، أى أنه ينقل مخارج الحروف الأمامية إلى ما فوق الحلق، أما التقعيب: فهو شبيه بالتقعير . وتوجد كلمات أخرى للدلالة على هذا المعنى هى :

المقمقة : هى التكلم بأقصى الحلق .

التفيهق : هو التوسع فى ملء الفم بالهواء الذى يحمل الصوت ، وهو مأخوذ من الفهق بمعنى الامتلاء والاتساع .

ويبدو أن هذه الصفات كانت متعلقة بالعرب سكان الصحراء الذين قد خلقت لهم صدور واسعة تمتلىء بالهواء ، وأنوف كبيرة ، وأشداق رحبة ، مما يتناسب مع بيئتهم التى يعيشون فيها ، ومن ثم خرجت أصواتهم قوية خشنة غليظة، حتى يتمكن العربى من إرسال صوته إلى أقصى مكان ليزجر إبله ،ويفزع عدوه ، ويستغيث عند نزول الكرب . وغالبا ما يستحب من الخطيب فى هذه البيئة أن يكون صوته بهذه الكيفية ، لأن سامعيه قد تعودوا هذا اللون من الصوت ، وربما قد صار من المقبول بعد ذلك أن يأتى صوت العربى فى البادية بهذه الصورة ، لأن المستمعين لديهم حاسة الذوق التى تستجيب وتعى هذا الصوت ، لكن الحضرى الذى يصطنع هذه الصفات الصوتيه يثير فى نفس سامعيه التقزز والنفور .

ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التشادق والتفيهق فى الكلام ،

وعاب المتشادقين والثرثارين ، والذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها ، والأعرابى المتشادق ، وهو الذى يصنع بكفيه وبشدقيه مالا يستجيزه أهل الأدب من خطباء المدر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبغضكم إلىّ الثرثارون المتفيهقون ، وقال « إياى والتشادق ، وقال « من بدا جفا »[١٧] .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا السلوك الكلامى مرتبط بالآداب الاسلامية المتصلة بالحديث والمجالس، وهى آداب حضارية بلاشك، كما أنه يتفرع عن نهى عام هو الاتصاف بصفات الجاهلية التى يغلب عليها الجفاء ، وقد ترى لدى المسلمين ذوق جديد نماه الإسلام ، وهذّبه سلوك المسلمين داخل مجتمعهم الجديد، ذلك الذوق الذى يتأنف من كل مايؤذى الشعور العام ، سواء كان قولا أم فعلا .

والتشادق والتفيهق والتقعير وما شابه ذلك سلوك صوتى قد نحّاه الذوق الإسلامى الجديد ، ولايقبل من الخطباء والمتكلمين وخاصة أهل القرى الذين يتشبّهون بأهل البادية فى نطقهم .

(ج) قد يتكلف الخطيب او المتكلم ، فيقف موقفا لا يقدر عليه :

وهو انطلاق من سوء العادة ، والمسلك المزاجىّ المخالف لسلوك الأسوياء ، كأن يخطب خطيب خطبا فى مقام لايناسبه ، وبعد أن يقف بين الناس يكتشف حقيقة نفسه ، أو تهرب منه ألفاظه ومعانيه ، ولاتسعفه قريحته بما ينقذه من موقفه هذا ، عند ذلك تظهر عليه علامات ومظاهر لاتستحب من الخطيب ، وتقلل من فصاحته ، وهى :

النحنحة والسعلة : وهما دليلان على أن الخطيب قد كبا زنده ، ونبا حده، وليس لديه ما يخفى به عجزه ، إلا ذلك السعال وتلك النحنحة ، وهما إشارة لدى سامعيه بضعفه الذى يقلل من مقدرته الخطابية عندهم ، فينزلونه من مكانته

---

(١٧) انظر البيان والتبيين جـ ١ ص ١٣ ، ص ٢٧١ .

الرفيعة إلى مكانة وضيعة ، لأنه خيب ظنهم ، وفاجأهم بما لم يتوقعوه عنده ، وقد ذم القدماء هذين المظهرين ، قال بشر بن المعتمر :

ومن الكبائر مقول متتعتع ... جم التنحنح متعب مبهور

وقال الأشل البكرى :

تحنح زيد وسعسل لما رأى وقع الأسل
ويل أمه إذا ارتجل ثم أطال واحتفل

وقال صحيم بن حفص :

نعوذ بالله من الإهمال ... ومن كلال الغرب فى المقال

• ومن خطيب دائم السعال •[18]

وشبيه بالنحنحة والسعال فى هذا الأثر البهر والارتعاش والرعدة والعرق ، وهى إشارات دالة على أن الخطيب ليس متمكنا مما يقول ، وليس مالكا لزمام القول الفصيح الذى يصدر عن متكلم فصيح ، له ملكة يقتدر بها على ذلك القول . والمتكلم الفصيح لا يضطرب ، ولا يصاب بهذه الظواهر لأنه قوى موهوب متمكن .

ويقول أبو مسمار العكلى فى مثل هذا النوع من الخطباء :

لله درء عامر إذا نطق ... فى حفل إملاك وفى تلك الحلق
ليس كقوم يعرفون بالسرق ... من خطب الناس وعظا فى الورق
يلفقون القول تلفيق الحلق ... من كل نضاح الذفارى بالعرق

• إذا رمته الخطباء بالحدق •

ومن نتائج تكلف هذه المواقف عدم مراعاة ما يجب أن يكون الكلام عليه ، فيتصف كلامه باللحن والخطأ ، وغير ذلك من العيوب التى تقلل من الفصاحة .

---

(١٨) البيان والتبيين جـ ١ ص ٤٠ ـ ص ٤٢ .

(٤) ومن العيوب أيضاً الثرثرة وعدم مراعاة أذواق السامعين وقدراتهم العقلية .

هذه عيوب أو أمراض قد تصيب المتكلمين والكلام، وهى بدورها أمراض للفصاحة التى تستهدف الوضوح والإبانة ، لكن هذه العيوب التى تحدثنا عنها تبعد الكلام عن الفصاحة ، وتسد الطريق إليها .

والفصاحة لا تكون فقط فى الكلام المنطوق المؤدَّى ، بل تتمثل أيضاً فى الكلام المكتوب ، وهو الذى قد افتقد كثيرا من صفات وخصائص الكلام المنطوق ، لكنه مرتبط بخصائص أخرى .

وهذا ماسنحاول أن نعالجه فى الصفحات القادمة إن شاء الله ، متلمسين العوائق التى تذهب الفصاحة عن ذلك الكلام المكتوب ، وتسد الطريق إليها .